الفصل الخامس والعشرون

البقاء على قيد الحياة بعد الحرب
كواهب للرعاية: قصة شخصية

بقلم: باولا أوكيف

هذه القصة تبين كيف أن المؤلفة مع العديد من الأصدقاء المسيحيين ثابروا في وسط أهوال الحرب، كانت الصراعات الداخلية، خاصة الصراع من أجل الثقة بالله، حقيقية مثل التهديدات الخارجية بفقدان الحياة. الأسماء والأماكن في هذا البلد تم تغييرها لأسباب أمنية.

كنت أقف في الشرفة فوق مبنى الأمم المتحدة في فيلت Vilt، ونظرت إلى أسفل إلى الطوابق العشرة تحتي وفكرت كم يسهل إنهاء كل شيء. كل شيء بداخلي كان يتوق للهروب من الأهوال التي رأيتها، والألم، واليأس، وخيبة الأمل. كنت أتوق لأجد مكاناً آمناً. حيث لا يساء فهمي بل أقبل كما أنا، وأتوق لأجد السلام والراحة. كان يبدو أن الجميع وكل شيء قد تحول ضدي، وقد استطعت أن أبقى على قيد الحياة بالتمسك بالمعرفة بأن الله يساندني ومازال لديه أشياء يريدني أن أقوم بها لأجله.

في ذلك الصباح استيقظت في وقت مبكر من نوم عميق على أصوات عاصفة رعدية تدوي في الجبال. كان الرعب والخوف الذي كان يشل جسدي في اللحظة التي استيقظت فيها قد هدأ قليلاً عندما أدركت أن هذا الشيء لم يكن غارة جوية أخرى. لقد أدركت كم كنت متوترة حتى وأنا نائمة. حاولت أن أعود للنوم ثانية، ولكن اندفاع الأدرينالين في جسدي جعل النوم مستحيلاً. حاولت ألا أفكر في صديقتي، أيشاد Aishad، التي كانت قد اغتصبت منذ أسابيع قليلة مضت. لقد دخل جار مسلح إلى الشقة التي كنت أشاركها فيها عنوة، حين كانت لوحدها ذات ليلة. لقد شعرت بالمرض والعجز الكلي عندما فكرت في فاليرا Valera، قائدنا في الخدمة الذي أجبر على النزول من القطار من قِبل جنود مسلحين. لم يكن لدينا أي معلومات عن مكان وجوده منذ أن اختطف، ولم يكن أحد مهتماً بمساعدتنا حتى نجده: لا موظفو الحكومة، ولا المرسلون الزملاء أو المؤمنون. حاولت ألا أفكر في الألم بسبب الشقاق الذي حدث في كنيستنا مؤخراً، والذي حدث بسبب هذه الكوارث إلا أن النوم جافاني.

في وقت متأخر في الصباح، ذهبت إلى مبنى الأمم المتحدة لأستلم بريدي الإلكتروني من منظمة مرسلية تقع في ذلك المبنى. كان تلقي أي خبر من العالم الخارجي يُعد شيئاً مثيراً. لم يكن لديَّ فكرة بأن ضربة مؤلمة كانت في الطريق. لا أعتقد أن أياً من الأشياء المرعبة التي اجتزت فيها في الأسابيع القليلة الماضية كان يمكن أن تجعلني أفكر في الانتحار، لو كان لديَّ العون الذي كنت بحاجة إليه. ما غطى على كل شيء كان البريد الإلكتروني الذي تلقيته من راعي كنيستي في أرض الوطن، يقترح عليَّ فيه أني مسئولة عن

الكنيسة المنقسمة واختفاء فاليرا. عندما استرجع شريط الذكريات، أستطيع أن أرى كيف توصل إلى هذا الاستنتاج. لم أكن شخصياً على صلة معه لعدة أسابيع. أنه لم يسمع سوى تقرير سلبي من مرسل آخر عما كنت أفعله في المنظمة. إن هذا المرسل ليس فقط لم يعرف كل الحقائق، ولكنه لسبب ما لم يكن يحب ما كنت أفعله وبدا أنه كان يحاول عامداً إثارة المتاعب. ولكني كنت أبذل كل ما في وسعي بحسب معرفتي في ذلك الوقت، في موقف عصيب جداً، وكنت على حافة الانهيار. عند هذه النقطة، كل ما كنت بحاجة إليه أن أجد شخصاً يصغي لي، ويشجعني، ويمد لي يد العون.

كنت في منتصف العشرينيات من عمري وكنت أعمل في منطقة حرب لمدة عام عندما حدث ذلك. كنت الأجنبية الوحيدة التي تعمل هناك من إرساليتي، مع أنه كان لديَّ فريق من السكان المحليين يعملون هناك. ولأني كنت موفدة من قِبل إرسالية إيمان مقرها كنيستي في أرض الوطن، لم أكن أتقاضى مرتباً أو دخلاً منتظماً. كان معظم المال الذي أتلقاه مصدره هدايا الأصدقاء أو المعاونين، بالإضافة إلى مبلغ ضئيل من صندوق الإعانات. لم يكن لديَّ تواريخ محددة فيما يتعلق بوقت تواجدي في منطقة الحرب أو متى أحصل على الإجازات أو الإذن بالغياب، ولذا فقد كنت حرة في عمل ما شعرت أنه الصواب. كانت هذه الحرية جيدة من جوانب عديدة، ولكن بسبب ميلي للعمل المستمر فقد سمحت لي عن غير قصد للعمل الشاق جداً وعدم العناية بنفسي بشكل لائق.

كنت قد اختبرت مباشرة بعض المعيشة في منطقة حرب في القرن العشرين، على الرغم أني كنت محظوظة بالدرجة الكافية حتى أني لم أختبر أسوأ أهوال الحرب الكاملة. في كل مرة كانت الحرب مشتعلة، كنت بعيدة عن خط القتال المباشر. في بعض الأحيان كنت أتمنى أن أكون هناك، لأن عذاب الانتظار والصلاة وعدم معرفة ما كان يحدث للناس الذين أحببتهم كان في بعض الأحيان أردأ حقاً من وجودي معهم. ولكن كانت هذه يد الرب، وقد اختار أن يعفيني من تلك الأهوال. ومع ذلك فقد شهدت بشكل مباشر بعض العنف والتمرد على القانون، وقد كان لي صديقات اغتصبن، وضربن، وسرقن، وخطفن. كنت أجتاز في مواقف مهددة للحياة، وعلى الرغم أنه في كل مرة كنت أشاهد الإنقاذ الإلهي، إلا أني لم أكن أدرك الضرر البالغ الذي لحق بجسدي، ونفسي وروحي. كان الحرمان الذي تلا ذلك كنتيجة فرعية للحرب قد سبب لي الإرهاق التام دون أن أشعر. على مدى وقت طويل، فإن أشياء مثل الاضطرار للمعيشة بدون تيار كهربائي، أو غاز، أو ماء جار، وحمل دلاء الماء لمسافات طويلة، وعدم الحصول على نوم كاف، وعدم القدرة على الحصول على الدفء أو الحصول على حمام مناسب، وعدم وجود خطوط التليفونات وبالتالي انقطاع الاتصال بالعالم الخارجي ــ كل هذه كانت تسبب توتراً دائماً.

كنت على وشك الانهيار، ولكني كنت أبدو غير قادرة على مساعدة نفسي. عندما كنت أقف وأنا أشعر باليأس التام فوق سطح مبنى الأمم المتحدة، كان الله رحيماً بي. فقد حفز المرسلة التي استخدمت حاسوبها لأحصل على بريدي الإلكتروني لكي تطلب مني أن أخرج إلى الشرفة وتسألني عن حالي. أخبرتها كيف أني كنت أشعر بالنكبة، وقد كانت مشجعة ومعينة لي. احتضنتني وصلت معي، ثم دعتني لأذهب إلى شقتها وأستريح لعدة أيام قليلة. ومع أنها هي وزوجها كانا يعيشان على حد الكفاف مقارنة بالغرب، فقد كان ذلك

أشبه ما يكون بفندق خمسة نجوم بالنسبة لي. عاملاني كالملكة، وأعطياني حجرة للإقامة وحدي، مع وجود تلفاز وشرائط فيديو. استطعت أن أنام في ساعات الصباح وأن أستريح حيث كنت أخلو لنفسي بعض الوقت بينما كانا يعملان سوياً. وفي الأمسيات، كانا يطهوان لي وجبات لذيذة، ويستمعان لي، ويصليان معي، وكانا يهتمان بي كثيراً، بل وقد حاولا مساعدتي لاكتشاف بعض المعلومات عن فاليرا، قائد عبادتنا. بعد تمضية بضع أيام معهما، شعرت بالقدرة على مواصلة المشوار. إنني ممتنة للرب لأجل إرسالهما لي في وقت احتياجي ولأجل إعطائي ذلك المكان السالم الآمن والمريح الذي كنت أتوق إليه.

ما الذي تعلمته؟

ما الذي يمكن للآخرين أن يتعلموه؟

كانت مجموعة من العوامل، خلال فترة ممتدة من الزمن، أوصلتني إلى حافة الانهيار. وعندما أشرك اختباراتي هذه وما تعلمته منها، أرجو أن تكون نهاية لبعض الضغوط التي يواجهها المرسلون الذين يعيشون في مناطق الحرب، كما أرجو أيضاً أن أبين كيف يمكن للمرسلين أن يجدوا دعماً أفضل وكيف يمكنهم أن يساعدوا ذواتهم بصورة أفضل. إن العديد من الأشياء التي عملها لي الله كانت أساسية. كنت أعرف معظمها في رأسي لمدة طويلة، ولكن عندما أراني الله حقيقتها على أرض الواقع وتحدث إلى روحي بود استطعت أن أمارسها.

بشريتي

لقد أدركت أن المعيشة في منطقة الحرب يصعب على أي إنسان أن يتعامل معها، ولكن عندما تكون مرسلاً، يضاف إلى ذلك تعقيد آخر ذو صلة بحقيقة أن الناس غالباً ما يتوقعون منك أن تكون "سوبرمان"، وليس لديك احتياجات خاصة، وأن تكون تحت تصرفهم هناك. اقتادني هذا التوقع كثيراً أن أفعل الشيء الكثير، وألا أراعي احتياجاتي الخاصة، وأن أكتب مشاعري الخاصة دائماً لأجل الآخرين. على أي حال، فقد كان ذلك يبدو أنه الشيء المسيحي الذي يتوجب عليَّ أن أفعله، حيث أن يسوع أمرنا أن نضع حياتنا لأجل الإخوة والأخوات. ولكني لست "سوبرمان". أنا امرأة ذات مشاعر واحتياجات، وقد كنت بحاجة إلى شخص يقاسمني خلجات قلبي.

العون من الراعي والكنيسة

لماذا كان البريد الإلكتروني الذي تلقيته من راعيّ مدمراً لي؟ أعتقد لأنه جاء في مثل هذا الوقت العصيب وجعلني أشعر أنه قد أسيء فهمي، وأنني مرفوضة، ووحيدة في هذا العالم. لقد تألمت حقاً لأن كنيستي صدقت ما قاله شخص آخر عني، دون الاستماع لقصتي. لقد بدا أنهم لا يصدقونني أو يفهمون كم أصارع وأنني بحاجة لعونهم. أرسلت لراعيّ رداً على بريده الإلكتروني، موضحاً ما كان يحدث من وجهة نظري، وتلقيت بريداً الكترونياً لطيفاً رداً على بريدي له يقول فيه أنه يريدني أن أعرف أنه كان يساندني وفي صفي. لقد كان مهماً بالنسبة لي أن أسمع ذلك. لقد أردته أن يدافع عني ويجعلني أعرف أنه في صفي.

التواصل الجيد

لكي يعيش المرسل في منطقة حرب، فهو بحاجة إلى قاعدة معونة مناسبة "وتغطية" جيدة. مفهومي للتغطية أننا جميعاً بحاجة إلى أناس لهم سلطان روحي علينا، نكون مسئولين أمامهم. عادة يكون هؤلاء هم الذين أرسلونا. إن دورهم رعوي. وكما يهتم راعي الغنم بخرافه، هكذا فإن الذين يقومون بتغطيتنا يجب أن يقودوننا ويشجعوننا، ويعصبوننا عندما نُجرح ويستردوننا عندما نضل (كما في حزقيال 34). إنهم يجب أن يسهروا لأجلنا كأنهم سوف يعطون حساباً (عب17:13).

حيث أن المرسلين بعيدون جسدياً عن كنيستهم الأم أو المقر المرسلي، فإنهم بحاجة حقيقية ليعرفوا إنهم يتلقون هذا الدعم وهذه التغطية، من خلال الخطابات/ البريد الإلكتروني والمكالمات التليفونية بين آن وآخر. إنهم بحاجة أن يعرفوا أن كنيستهم الأم أو إرساليتهم تؤيدهم بنسبة 100%، وتصلي لأجلهم ومهمته بما فيه خيرهم. والمرسل أيضاً، بالطبع، عليه مسئولية أن يخبر الناس في بلده بما يحدث. لقد خرت قليلاً من هذه الناحية، لأني كنت أقضي الكثير من الوقت دون أن يتصل بي أحد عن طريق الهاتف أو البريد الإلكتروني. لقد تعلمت أنه لكي أعطي حساباً، كنت بحاجة بالفعل لكي أبذل مجهوداً لكي أكون على اتصال أوثق. فلكي تكون مرسلاً يمكن أن تشعر بالوحدة، هذا بالإضافة إلى الشعور بالألم المضاعف نتيجة للشعور بإساءة فهمك وعدم تلقيك للدعم.

فريق محلي جيد وصديق حميم

شيء آخر تسبب في شعوري باليأس أني أحسست أنه لا يوجد شخص يمكنني أن أفضي إليه بأسراري. إن وجود فريق جيد حولك، سواء كانوا محليين أو أجانب، في غاية الأهمية، لكي يشجعوا ويساندوا بعضهم بعضاً. عندما تكون لديك احتياجات، تجد لديك شخص يمكنك أن تفضي إليه بأسرارك وتطلب منه العون والصلاة. أعتقد أنه حتى يستطيع المرسل أن يواصل مهمته فهو بحاجة لصديق حميم على الأقل. في ذلك الوقت، شعرت أنه لا يمكنني أن أفضي بأسراري إلى أي واحد من المحليين. لم يكن معي أحد من الأجانب يعملون معي، وفي بعض الأوقات شعرت بالحاجة إلى الحديث مع شخص يمكنه أن يفهم حقاً معنى أن تكون أجنبياً في هذا الموقف. لقد عرف الرب ما كنت بحاجة إليه في لحظة الشعور باليأس، وباركني بهذين الزوجين المرسلين اللذين استطعت أن أفضي إليهما بمكنونات قلبي.

استخلاص المعلومات

الانهماك في استخلاص المعلومات، حيث يمكننا أن نتحدث إلى شخص ما عن التجارب التي اجتزنا فيها وأن يستمع إلينا، شيء ضروري. يسهل جداً أن نكبت مشاعرنا عندما نجتاز في تجارب أصابتنا بالصدمة وأن نعتقد أن الأحداث لم تؤثر علينا. صحيح أنه أثناء الاجتياز في هذه التجربة، قد نكون بحاجة لكبت انفعالاتنا حتى نواصل المسيرة، ولكن بعد ذلك في أقرب فرصة، نكون بحاجة أن نجد مكاناً آمناً يمكننا فيه أن نعبِّر عن تلك الانفعالات ونسلمها لله. لقد وجدت أني كنت أعتقد أنني لم أتأثر بالعديد من الأشياء التي اجتزت فيها. وقد افترضت أنه ما دمت مسيحية وبما أنني اخترت أن أخدم الرب في ذلك المكان وحيث أن الله كان معي، فإنه قد حفظني بالطبع، إنه حفظني، ولكني كإنسانة كنت بحاجة للتعامل مع الانفعالات ونتائج التجارب

التي سببت الجروح التي كنت أعاني منها، إذا كان لابد لي أن أخرج سليماً. لقد ساعدني الله لكي أفعل ذلك من خلال مساعدة المشيرين في أرض الوطن في المملكة المتحدة، والذين قضوا الساعات العديدة يستمعون لي ويصلون معي.

الغزو ــ والمزيد من الدروس

بالطبع كانت هناك عوامل أخرى كانت تقتادني إلى حافة الانهيار. كانت الأسابيع والشهور التي اقتادتني لهذا الحدث مليئة بالضغوط. كانت الحرب الأولى قد انتهت رسمياً السنة الماضية، عندما انسحبت دبابات العدو، تاركة الوطنيين يصرفون شئونهم الخاصة. كان وقت فرح عظيم، ولكن أعقبه الكثير من الألم الذي تفاقم بسبب التعدي على القوانين التي أعقبت ذلك طيلة السنوات الثلاث التالية. قبيل حوالي ستة شهور من حادثة مبنى الأمم المتحدة، كان لدينا خبر مريع مفاده أن العديد من عمال تقديم المساعدات قد قتلوا في أسرتهم بدم بارد. بعد ذلك انسحبت معظم هيئات تقديم المعونة.

أتذكر أنه في كل ليلة كنت أقيم مع هافا Hava، وهي مؤمنة من كنيستنا، وقد صلينا لأجل البلد حتى حوالي الساعة الثانية صباحاً. لقد اكتشفت أن المعيشة في منطقة الحرب تحسِّن حياة الصلاة لدينا كثيراً ــ فإن سماع إطلاق الرصاص ودوي القنابل بالقرب منك يجعلك تخر على قدميك، وتصرخ إلى الله طالباً الرحمة على ذلك البلد، بطريقة لا يمكن لأي شي آخر أن يفعله.

في صباح اليوم التالي، تم إيقاظنا بالطرق المحموم على الباب، عندما جاء الجيران ليخبرونا بالأخبار المريعة. تجمعنا كلنا حول جهاز التلفاز، وفي الوقت القصير الذي كان لدينا فيه كهرباء، جلسنا جميعاً وبكينا جميعاً ــ المحليين (من المسلمين والمسيحيين على السواء) ومرسل إنجليزي واحد. لقد شعرنا بالرعب بسبب عبثية ما كان يحدث. سمعنا رئيس الجيش الغازي يعلن أنه إذا لم تتوقف أعمال العنف غير الشرعية، سوف يرسل الدبابات مرة أخرى. ثم انقطعت الكهرباء وانقطع أيضاً اتصالنا الثمين بالعالم الخارجي.

قمت بعملي كالمعتاد في ذلك اليوم مع أني كنت أشعر أن قلبي كان مثقلاً. ذهبت أنا وهافا نبحث عن الماء الذي حملناه إلى الطابق الرابع، حيث كنا نعيش. ثم ذهبت لشراء بعض الخبز، والشاي، والسكر من أجل إفطارنا. عندما وصلت إلى المكان الذي كانت تسكن فيه "هافا" الليلة الماضية، لم يكن لديها أي شي على الإطلاق لتأكله أو تشربه. قالت إنها كانت صائمة، ولكني علمت أنه لم يكن لديها مال أو أي طريقة للحصول عليه. بعد تناول إفطارنا ذهبنا إلى معسكر اللاجئين عند أطراف المدينة، وتوقفنا في السوق لنلتقط بعض الطعام لأجل المعسكر.

في كل أسبوع كنت أدير دراسة للكتاب المقدس في إحدى الأكواخ المعدنية الصغيرة حيث كانت تعيش عائلة من المؤمنين الجدد. كانت زولاي Zulai تعاني من نصيبها العادل من المآسي، ولكنها كانت تحب يسوع. كان زوجها قد ضُرِب بالبندقية أمامها وأمام أطفالها الثلاثة، وبعد ذلك تم إحراق بيتهم وكل ممتلكاتهم. بعد الدراسة عن محبة الله ثم الصلاة لأجل كل واحد منهم لكي يعرفوا محبة الله في وسط العاصفة، قضينا وقتاً في الصلاة لأجل سلامة أرضهم. بعد ذلك، استمتعنا بالشاي والمأكولات التي أتيت بها معي ثم ذهبت لأكواخ مختلفة لزيارة أناس آخرين ذوي قيمة كبرى قد أحببتهم بشدة. وبينما كنت أشرب الشاي، كنت أستمع

لقصصهم، وأصلي معهم، وقد كنت بالنسبة لهم الشخص الذي يستمع لمشكلاتهم ويتعاطف معهم. لقد كان دائماً وقتاً متميزاً في المعسكر، ولكني كثيراً ما كنت أخرج من هناك مع شعوري بالاستنزاف التام.

بعد ترك المعسكر، مشيت إلى منزل إحدى الصديقات. لم تكن بعد مؤمنة ولكنها كانت مهتمة كثيراً بمعرفة المزيد عن يسوع. لم تكن هناك عندما وصلت، ولكن لأني كنت بحاجة لرؤيتها، انتظرت. وعندما وصلت إلى البيت، كانت الساعة تشير إلى الثالثة والنصف بعد الظهر وقد اقترب حلول الظلام. كان لابد لي من الرحيل إذ كان عليَّ أن أمشي لمدة ساعة عائدة إلى المنزل قبل حظر التجوال. قررت أن أقضي الليلة هناك. تحدثنا لعدة ساعات عن الكتاب المقدس، ويسوع وقوة الغفران ــ وقد كان ذلك مفهوماً جديداً تماماً بالنسبة لصديقتي وعائلتها. كانت العائلة قد نشأت وهي مقتنعة بفكرة أن الانتقام الدموي هو القاعدة.

الشركة مع الله أم مع الخوف؟

قبل الذهاب إلى الفراش، شاهدنا الأخبار، حيث أعلنوا أن كل هيئات المعونة تقريباً قد انسحبت، وبدا كما لو كانت الحرب الشاملة سوف تبدأ مرة أخرى في أي لحظة.

أصابني هول الموقف بالرعب. لقد اعتقدت أني الأجنبية الوحيدة المتبقية في البلاد، مما جعل القشعريرة تسري في بدني. لو بدأت الحرب في تلك الليلة، لكان لي العديد من الأسباب للشعور بالخوف: كنت أقيم في قلب الحي التجاري، وسوف لا أكون فقط في وسط القتال، ولكني سوف أكون مع الناس الذين أُفضِّل أن أكون معهم خلال القصف بالقنابل، وهم أصدقائي المسيحيون. ذهبت إلى الفراش، وكان الرعب أشبه ما يكون بحمل من الرصاص وجد مستقراً له في أعماق معدتي. لم أستطع النوم.

أخذت أتصارع لمدة ساعتين، وشعرت أن الرب يخبرني بأنه عليَّ أن أختار: كان يمكنني إما أن أعيش على الخوف وذلك يعني الإحساس بالشركة معه، أو أن أختار الشركة مع الله. كان ذلك شيئاً تذكرت أني قد سمعته من مرسلة في بوروندي عندما كانت تتحدث عن الكيفية التي ساعدها بها الله للتعامل مع الخوف خلال مدة الحرب هناك. علمت أنه إذا كان الله قد ساعدها، يمكنه أن يساعدني أيضاً. طلبت من الله أن يساعدني لكي أكون في شركة معه، وعندئذ غمرني إحساس بالسلام. شعرت أنه يخبرني أني سوف أكون على ما يرام وأنه كان لا يزال يدعوني لأخدمه هناك، على الرغم من أن كل الهيئات الأخرى هناك كانت قد انسحبت. وفي النهاية استغرقت في النوم، على أصوات البنادق التي لم تكن بعيدة جداً، وأنا مستريحة في ظل السلامة والأمان بين ذراعي مخلصي.

وقت مع الله

لقد تعلمت كيف أنه من المهم جداً أن أقضي أوقاتاً منتظمة وحدي مع الرب. يمكن أن يكون ذلك صعباً تماماً في منطقة الحرب. في البداية، يمكن أن يكون من الصعب أن تجد بعض الوقت لتكون وحدك. حيثما كنت أعمل، كان من الخطورة بمكان على الأجنبي أن يعيش وحده، خاصة كأنثى، ولذا فقد عشت مع السكان المحليين. في كل عائلة كان هناك الكثير من الازدحام بسبب كثرة عدد اللاجئين والمنازل المدمرة. لم تكن هناك أماكن في المدينة أو في الريف يمكن أن تكون آمنة لأقيم فيها بمفردي. وأجلس، وأستمتع ببعض الوقت

مع الرب. وهناك مشكلة محاولة الاسترخاء، عندما أستمع لصوت إطلاق النار في خلفية المشهد. ولذا كان يمكن أن تكون تلك مشكلة. ولكن إذا لم أقضِ تلك الأوقات مع الرب، فلن أتمكَّن من البقاء هناك.

لقد اكتشفت أنني لم أكن بحاجة حقاً لمكان هادئ لأقضيه مع الله، لأنه بإمكاني أن أكون في شركة معه حيثما كنت أوجد وبغض النظر عما كنت أعمل. كنت بحاجة لأوقات أتواجد فيها معه، لتصحيح تركيزي ووجهة نظري ولأعرف محبته وفضله عليَّ. كنت بحاجة كل يوم لتلقي المراحم الجديدة التي يعطيها لي. كنت بحاجة لكي أتمكن من المجيء إلى مكان الملجأ والأمان هذا، حيث أستطيع أن أستريح بين ذراعيه وأجد السلام والفرح اللذين لم أستطع العثور عليهما في أي مكان آخر. إن تمضية الوقت مع الله هو المرساة التي أحتاج إليها للتغلب على أي عواصف قد أتعرض لها في ذلك اليوم.

واقعة كنيسة المنزل

منذ بضع أيام قليلة قبل زيارة فيلت، بعد حوالي ستة شهور من قتل عمال المعونة، كنا في اجتماعنا الكنسي الأسبوعي. كانت لنا كنيسة سرية وكنا نجتمع في منازل مختلفة، عادة في أيام الجمعة أو السبت. ذهبت إلى الاجتماع عن طريق السوق لألتقط بعض الطعام للعائلة التي كنا نجتمع في منزلها، بالإضافة إلى بعض الشاي والسكر، والكعك للاستمتاع به بعد الاجتماع.

عندما وصلت، وجدت نادية، الأم، في حالة سيئة جداً. كانت تقطع "بصلة" ومع كل ضربة قاطعة بالسكين، كانت تتحدث عن قتل نفسها أو قتل ابنها. كانت أماً وحيدة كان لها زوجان مدمنان للمسكر. كانت الآن لوحدها مع أطفالها الأربعة. كانت ابنتها الكبرى حامل، لأنها في إحدى ورديات الليل خلال فترة من القصف العنيف بالقنابل، تم اغتصابها من قِبل زميلها في العمل. في أحيان كثيرة عندما كنت أزور تلك العائلة، كنت لا أجد لديها أي شيء لتأكله. وفي خلال فترات الهدوء النسبي، كانت نادية تعمل في مصنع تكرير الزيوت، على الرغم من أنها لم تتقاض أي أجرة لعدة شهور. كانت تصنع الحساء بقطعتي البطاطس والبصلة التي تمكنت من العثور عليها. في ذلك الصباح، تشاجرت مع ابنها، ولم يكونا يتحدثان كل منهما مع الآخر. استطعت أن أجعلها تهدأ قبل أن يأتي المؤمنون الآخرون. أخيراً جعلتني أصلي معها، ووضعت السكين. لم أكن أعرف أيهما أردأ ــ التوتر في البيت أم التوتر في البلد، بينما كان الناس ينتظرون وهم يتساءلون عن وقت بداية استئناف القتال مرة أخرى، لأن البلد كان مهدداً بغزو وشيك من قِبل العدو.

كان أول من وصل من الناس للاجتماع أب وابنه كانا يشعران بالاكتئاب لعدة شهور. منذ عدة شهور من قبل، كانا مجبرين على مشاهدة اغتصاب الزوجة والأم من قِبل جنود مسلحين وقد ضربا أنفسهما بشدة. توقفت المرأة عن الخروج من المنزل بعد ذلك ولم تعد تأتي إلى الكنيسة. كان الشخص التالي الذي وصل إلى الاجتماع هي قائدة الكنيسة، أيشاد Aishad، التي كنت قد اقتسمت معها الشقة عندما كنت في ذلك البلد. كانت تبدو أكثر قلقاً وضيقاً مع كل مأساة اختبرتها، بما في ذلك قتل أبيها منذ ثلاث سنوات واغتصابها منذ أسابيع قليلة مضت. بينما كنا نتحدث عن كل الأشياء المريعة التي كانت تحدث، كنت أشعر بأن خوفهم ويأسهم قد بدآ يغشياني.

إن غياب نصف الكنيسة، الذي لم يعد يشترك معنا في العبادة، لم يكن ذا جدوى. في يوم الأحد بعد اغتصاب أيشاد، فإن فيرا Vera، وهي امرأة أفضت إليها أيشاد بسرها وهي تبكي، خانت ثقتها فيها تماماً. لقد وقفت واتهمت أيشاد بأنها متورطة في علاقة جنسية مع الرجل الذي اغتصبها. وقالت إنها ترفض أن تكون تحت قيادة زانية بعد الآن. خرجت أيشاد من الاجتماع وهي تبكي. لم أكن هناك، ولذا فقد أخذت فيرا نصف الكنيسة معها، وهم يجتمعون الآن في بيتها. لم أستطع أن أصدق أن الناس، الذين عانوا هم أنفسهم من أهوال الحرب والذين تم الاعتداء عليهم أيضاً بطرق مرعبة، يمكن أن يكونوا قساة بهذه الطريقة، ولكن في ذلك الوقت لم أفهم بوضوح طبيعة الصدمة وكيف يمكنها أن تؤثر علينا.

فهم الصدمة والعناية بالذات

من أصعب الأشياء التي اكتشفتها بشأن المعيشة في منطقة الحرب التعامل مع الألم الناتج عن العلاقات، عندما يصطدم أناس مجروحون ومتألمون مع أناس آخرين مجروحين ومتألمين. أتذكر يوماً ما منذ أسبوعين مضيا، عندما كنت في الباص في طريقي لأرى فيرا، السيدة التي تسببت في انشقاق الكنيسة. كان الباص يشق طريقه في وسط المدينة، حيث كان الدمار على أشده، حيث كان الركام في كل مكان ولم يكن هناك مبنى واحد قائم. كان الخراب الناتج عن الحرب في ذلك الجزء من المدينة واضحاً في كل مكان حيثما نظرت. شعرت أن الرب يطلعني بوضوح على حقيقة أن الناس قد لحق بهم الدمار نتيجة لما اجتازوا فيه تماماً كالمباني. لم يكن الأمر واضحاً هكذا لأول وهلة. ويستغرق الأمر الكثير من الوقت والجهد حتى تسترد المدينة عافيتها من جديد، ولذا فإن شفاء البشر يتطلب الوقت والجهد. أعطتني الرؤيا إحساساً جديداً بالعطف على الناس وساعدتني بنوع خاص لأتحلى بالعطف في ذلك الموقف العصيب للكنيسة التي كنت أتعامل معها.

إن الآخرين الذين كانوا قد قرروا أن يظلوا مخلصين حتى النهاية وصلوا إلى اجتماعنا في يوم الجمعة هذا، ولكن كان يبدو أن جميعهم كانوا على نفس الحال من الخوف، والتوتر واليأس. لم يكن يبدو مطلقاً أن هناك أخباراً سارة من أي نوع، وبدت الحياة كما لو كانت كابوساً متصلاً واحداً وراء الآخر. اشتد اليأس والظلام مع كل موضوع جديد للحوار. قال أحدهم: "سوف يبدأون في القصف مرة أخرى وسوف نموت جميعنا" وقال آخر باكياً: "وإذا لم تصل إلينا القنابل أو الرصاص في هذه المرة، فمن المحتم أن المجاعة ستقضي علينا" ولتغيير الموضوع، بدأ شخص ما في الحديث عن شي آخر كنا نحاول جميعنا ألا نفكر فيه: "أخشى أن أفكر في الفظائع التي تحدث لـ فاليرا. ربما يعذبونه الآن". وأضاف شخص آخر قائلاً: "هذا إن لم يكن قد قتلوه بالفعل". ولتغيير الموضوع مرة أخرى إلى موضوع مقبض آخر، قال شخص ما وهو في حالة من التذمر: "كيف استطاع الآخرون أن يهجرونا ويمضوا بعيداً مع تلك المرأة المريعة؟" وعبَّر شخص آخر عما كنا نفكر فيه جميعنا قائلاً: "إذا كان المؤمنون يتعاملون مع بعضهم البعض بهذه الطريقة، فأي رجاء هناك؟" كان يبدو أن الجميع متفقون على أن هذه هي النهاية، وأنه لم يعد هناك أي رجاء. تذكرت ذلك الشعور بالرعب المسبب للمرض، واليأس، وفقدان الأمل الكامن في أعماقي. قلت لنفسي: "أنت تعرفين أنه من المرجح أن يكونوا على صواب. لا يوجد مخرج من هذا الموقف. إنه موقف يائس تماماً، وسوف نُقتل جميعنا. ما هي فرصة البقاء على قيد الحياة؟

الحصول على فترة راحة

شعرت أن الرب يعلمني من خلال هذا الموقف أني بحاجة إلى فترات راحة منتظمة وإلى أوقات أقضيها بعيداً، حتى لا أقع في هاوية اليأس وفقدان الأمل والتي كانت تميز معظم الذين كنت أعمل معهم. اكتشفت أنه حينما كنت أعيش في منطقة الحرب نفسها، كنت بحاجة إلى يومين لأذهب بعيداً كل أسبوعين. كان يتضمن ذلك السفر حوالي ثلاث ساعات إلى دولة أخرى، لا تكون في حرب في ذلك الوقت. كنت أستمتع بالاتصال بالعالم الخارجي، وأكون مع أناس يعيشون حياة شبه عادية، يسترخون ويستريحون، ويستمتعون بالريف والمدن التي لم تدمرها الحرب.

إذا لم أحصل على فترة الراحة هذه بعيداً، كنت أجد أنه في بعض الأوقات لم تكن لديَّ القوة، للارتفاع فوق اليأس وضياع الرجاء اللذين كانا يحيطان بي. كنت بحاجة إلى وقت لتجديد الرجاء، ولأرى الفرح، والجمال، والأشياء الجميلة في الحياة، وأستعيد نظرتي إلى الرب وصلاحه مرة أخرى. كنت بحاجة لأوقات لكي يجعلني الرب استريح في المراعي الخضراء، ويقودني إلى مياه الراحة، ويرد نفسي (مز23). إن التواجد في البيئة الجميلة في الجبال في حد ذاته كان شفاء للنفس، وهو صحي من آن لآخر للحصول على فسحة بعيداً عن دمار الحرب.

في ذلك الصباح في الاجتماع الكنسي في المنزل، كنت أقود العبادة بأحسن ما استطعت، وقد عزَّانا الرب بوجوده وسلامه. وعندما ركزنا عليه أنظارنا، جاء نوره، وتركنا اليأس وضياع الرجاء، وجدد الرب رجاءنا وأعطانا القوة لمواصلة المسيرة. وحتى نادية جاءت إلى الاجتماع أثناء العبادة وجلست تبكي في الركن بينما كان الرب يتعامل معها. ثم أشركتها معي في كلمة الله، وقد تشجعنا وأحسسنا بالارتفاع فوق الهموم.

العبادة

اكتشفت أن العبادة كانت حبل النجاة في تقوية ورفع روحي المعنوية. في بعض الأحيان عندما كان الخوف يقهرني وشعرت بأني أفقد زمام السيطرة على حياتي، وعندما بدأت أهز أو أتجمد في مكاني، استطعت أن أبدأ في الترتيل وعبادة الرب وقد خلصني مما كنت فيه من حزن. وفي أحيان أخرى عندما كنت في مواقف الخطر، كان معي جهاز "الوكمان" واستطعنا أن نغلق عيوننا، ونستمع إلى الموسيقى، وانهمكنا في العبادة، عالمين أن حياتنا بين يدي الله.

إن العبادة المشتركة كانت سبباً أيضاً في رفع روحنا المعنوية. في كثير من الأحيان حين كان اليأس كاسحاً، وكنا نبدأ في العبادة معاً، كنا نلمس حضور الرب. وعندما نترك التفكير في المشكلات ونركِّز عليه بدلاً من ذلك، كان يملأنا بسلامه وفرحه. مررت أنا وأيشاد في أوقات بدا فيه كل شيء مقبضاً، ولم نشعر أن لدينا القوة على مواصلة المسيرة. ولكن عندما بدأنا في تسبيح الرب، امتلأنا بإحساس مذهل بالفرح العميق في روحياتنا، على الرغم من الظروف ــ شيء لم أختبره أبداً إلى هذه الدرجة في أي مكان آخر. لقد عرفنا أن فرح الرب هو قوتنا، حين كنا نرقص بلا خجل أمام الرب، غافلين عن أصوات البنادق في الخلفية.

أحداث ودروس أخرى

بعد الاجتماع، صلينا لأجل جميع الذين كانوا يريدون الصلاة، ثم تناولنا الشاي و"الكيك" معاً. تفرقنا لمدة ما يقرب من الساعة قبل غروب الشمس حتى نعود إلى المنزل قبل حظر التجوال. في وقت متأخر من تلك الليلة صليت أنا وأيشاد، بينما كانت أمها في المطبخ تقرأ. كان طرق شديد على الباب، بينما كان الجنود يصرخون طالبين منا أن نفتح الباب. أيشاد رفضت وطلبت منهم الانصراف. قالوا لنا أنهم سوف يفتحون الباب عنوة، وكنا نستطيع سماعهم وهم يضحكون وهم يضربون الباب بمؤخرة بنادقهم ويركلونه بأحذيتهم. كان لديَّ إحساس مذهل بسلام الله وتساءلت كيف سوف يخرجنا الله من هذا الموقف. لقد قرر الجنود بطريقة ما الاستسلام وتركونا وحدنا، ولكن لأنه كان نجاة من موت محقق، كانت أيشاد وأمها في حالة مرعبة، ترتعشان من الرعب. كان عليهما أن يأخذا بعض الأقراص المهدئة ليشعرا بالهدوء. كنت أشعر بالذهول بسبب السلام غير العادي الذي أعطانى الرب إياه في تلك اللحظة، ولذا فقد استطعت أن أصلي لهما وأعزيهما.

في صباح اليوم التالي، وبعد أن شعرت بأني منهكة بسبب الليالي العديدة التي لم أحصل فيها على نوم مريح، مشيت إلى محطة الباص لأبدأ رحلة طويلة بعيداً عن منطقة الحرب إلى فيلت. هناك كنت آمل أن أتصل بالعالم الخارجي، كما أحاول أن اكتشف بعض المعلومات عن فاليرا، قائد خدمتنا. في محطة الباص، وجدت مقعداً على باص مزدحم. وسرعان ما لحق بي جندي جلس بجواري ووضع بندقيته على حجره وكانت ماسورة البندقية في مواجهتي. وبينما كان الباص في الطريق وحول حقول الألغام والركام في الطريق، همست بصلاة سريعة حتى لا تنطلق البندقية. كانت الارتطامات عنيفة وازدادت التوقعات السيئة بسبب الباص القديم المترنح، ولذا كنا نقفز عالياً حتى كانت رؤوسنا تكاد تلمس السقف. وكنا نشترك جميعاً في الضحك في كل مرة كنا نهبط فيها بأمان على مقاعدنا!

المرح

أدركت أهمية الاحتفاظ بروح الدعابة في مواقف كهذه وأن نستمتع بأوقات المرح والضحك. هناك شيء واحد استطعت أن أفعله وهو أن أضحك، وقد كان في ذلك راحة كبرى. بسبب المستويات العالية من اليأس والألم، كان لابد من الأوقات التي كنا نجد فيها المرح وأن نتخلص من التوتر. مثال ذلك ما حدث عندما كانت بعض صديقاتي في البيت، وقد تم قصف منزلهن بالمدفعية. كن يختبئن تحت المنضدة ويستمعن إلى شريط تسجيل. لقد قررن الحصول على قدر من المرح بتسجيل "توثيق" لرحلة سفر، لجذب أنظار السياح إلى منطقة الحرب وعلى صوت نيران المدفعية الثقيلة، يأتي صوت ولد مرحباً بالناس للمجيء إلى بلاد الشمس المشرقة، وحيث العشب الأخضر، والسماء الزرقاء. قد تكون دعابة سوداء، ولكن من المهم أن ترى الجانب المرح من الحياة وألا تعامل نفسك أو الحياة بصورة جادة أكثر مما ينبغي. ومن وقت لآخر، أنظم مناسبات لكنيستنا وفي المعسكر حين يمكن أن نلعب بعض اللعبات ونمرح معاً.

الهوايات

لقد اكتشفت أنه من المفيد أن تكون لنا هواية أو أن نشترك في نوع آخر من أنشطة الترويح عن النفس. إن الفنون المبدعة مثل الرسم، والكتابة والموسيقى يمكن أن تكون طريقة ممتازة ليس للاسترخاء فقط، بل

للتعبير عن بعض الانفعالات التي قد تكون حبيسة. إن الله أيضاً يمكن أن يستخدم هذا التعبير الخلاّق ليأتي بالشفاء لكل من النفس والروح. أنا أستمتع بالرسم كما أستمتع بالعزف على البيانو والجيتار، وأجد أن تمضية الوقت للاسترخاء بممارسة هذه الهوايات يمكن أن يأتي بالراحة، والاحياء، والشفاء. إنها أيضاً نوع من المرح الخالص!

النمو الروحي والشفاء من جروح الماضي

كانت هناك أيضاً عوامل أخرى كانت تنطوي أيضاً على اقتيادي إلى حافة الانهيار. لقد أراد الله أن يجري فيَّ عملاً عظيماً وينقي دوافعي. لقد أراني بعض المؤثرات غير التقية والمتأصلة فيَّ والتي كانت تؤثر عليَّ منذ الطفولة، والتي أراد أن يقتلعها. لقد نشأت في عائلة لها عائل واحد، بدون أب، وكانت أمي تجد الحياة عصيبة وكانت بحاجة لكثير من العون والمساعدة. كانت هناك عادة إدمان المسكرات في عائلتنا الكبيرة، وقد تسببت هذه العادة في مجموعة من المشكلات والصعاب. ولذا فعندما كنت طفلاً نشأت وأنا أعاني من عبء المسئولية الكاذبة عن حياة عائلتي، وعندما وصلت سن البلوغ أدركت ميلي لعمل نفس الشيء. لقد أعلن الله لي ذلك برفق وحب، وأراني أني كنت أفعل ذلك دون وعي مني، لأن ذلك كان يشعرني بالرضا عن نفسي ويعطيني سبباً لمواصلة الحياة. أراني أيضاً أنه لأني لم أكن محبوبة كطفلة بلا شروط، فقد كنت أجاهد لكي أرضيه وأكسب محبته، في حين أنه في الحقيقة أحبني مجاناً تماماً كما أنا. لقد جعلني أيضاً أفحص نفسي لكي أتأكد أن كوني مرسلة لا يعني الهروب في محاولة لنسيان ألمي. وعن طريق إظهار تلك الأشياء لي، نقَّاني وشفاني، ووضعني في الطريق الصحيح، وأعطاني رؤية جديدة لحياتي وعملي.

بعد ذلك، أراني الله أني كمرسلة أعمل في إرسالية إيمان، قد وقعت في شرك "إرضاء الناس". لقد نشأت في مجتمع في جنوب شرق إنجلترا حيث، لأنه بسبب تغلغل المبدأ الأخلاقي البروتستانتي، كان لديَّ إحساس قوي أنه لكي تكون مقبولاً كشخص، عليك أن تفعل شيئاً نافعاً بحياتك. كان ذلك شيئاً تصارعت معه بسبب تجارب طفولتي. أدركت أن هذا الشعور قد تغلغل فيَّ لأني كنت أحصل على الدعم وأعيش على هبات أصدقائي ومعاونيَّ. شعرت بضغوط مرعبة لكي أعمل، وبأن "أفعل الصالحات"، وأن أرضي توقعات البشر. لقد اقتادتني هذه الضغوط لكي أظهر للناس الذين كانوا يساعدونني أني كنت أفعل شيئاً نافعاً، وأني لم أكن أتكاسل أو أضيع وقتي أو مالي بل اقتادتني للعمل الشاق بأكثر مما كان ينبغي. وفي بعض الأحيان كنت مضغوطة لأفعل الأشياء ليس لأن الله طلبها مني، بل لأجل تقديم تقرير جيد في رسالتي الإخبارية. أن أكتب تقريراً يفيد بأني استقطعت بعض الوقت بعيداً عن العمل أو حصلت على إجازة كان يشعرني بقدر كبير من الذنب، وكان من الأسهل عليَّ أن أواصل العمل عن أن أحصل على راحة مناسبة.

أن أقول لا

هناك درس هام آخر كنت بحاجة لتعلمه وهو ألا أكون مندفعة لتلبية احتياجات الناس الذين حولي. عندما كنت محاطة طوال الوقت تقريباً بأناس في حاجة ماسة لأشياء معينة، كان من الصعب عليَّ أن أقول لا أو أهرب من تلبية الاحتياجات. لكنني توصلت إلى إدراك أنه حتى لو عملت بلا كلل لمدة 24 ساعة في كل يوم، سوف يكون أيضاً أناس بحاجة لمساعدتي. لقد دهشت يوماً ما عندما قرأت في الأناجيل أن يسوع كان

يرفض تقديم المساعدة لأناس كانوا في احتياج ما، وأنه لم يشفِ جميع الناس دائماً. عند بركة بيت حسدا كان هناك أناس كثيرون مقعدين. ومع ذلك لم يشفِ يسوع سوى واحد، ثم انصرف، تاركاً الآخرين مقعدين. (يو5: 1-15). ولقد قال أيضاً أن الفقراء معنا في كل حين (يو12:8).

ما تعلمته أني بحاجة فقط أن أفعل ما أرى الآب يفعله، كما كان يفعل يسوع (يو5:19) لا أستطيع تلبية احتياجات كل الناس في البلد الذي أعيش فيه، دع عنك في العالم. ولكن يسوع يستطيع. عليَّ فقط أن أعمل ما أرى الآب يدعوني لأفعله، فالراحة هي مسئوليته. كنت بحاجة أيضاً لأتعلم يسوع، وليس أنا، هو المخلِّص لهؤلاء الناس. إنهم مسئوليته في النهاية، وليست مسئوليتي. لم أعد أتحمل أعباء زائفة من المسئولية.

الاحتياج الجسدي: نفسي أم الآخرين؟

هناك شيء آخر كان عليَّ أن أتوافق معه وهو نوع من الصدمة الثقافية، والتي أشعرتني بالذنب نظراً لأني أتيت من الغرب، وبعد أن كنت أعيش حياة الترف مقارنة بما كان يعاني منه السكان الوطنيون. ولأنه لم يكن لديهم وقت للاسترخاء، دع عنك الحصول على أي إجازات، ولم يكن لديهم ما يكفي ليأكلونه، فقد جعلني ذلك أشعر بقدر كبير من الأنانية حين أفكر في الحصول على إجازة أو حين أتناول مأكولات جيدة. لقد شعرت كما لو أنهم كانوا بحاجة لهذه الأشياء بأكثر مما كنت بحاجة إليها، فكيف أكون أنانية لهذه الدرجة حتى أفكر في نفسي فقط؟

مثال لذلك أني كنت في بعض الأحيان أشتري اللبن لنفسي كمتعة خاصة. كانت منتجات الألبان مكلفة ونادرة، ولم أكن قد تناولت منها شيئاً لمدة طويلة. وعندئذ عندما كنت أرى طفلاً لم يتناول اللبن لمدة طويلة، كنت أتصارع مع نفسي لبرهة وجيزة، كنت أعطي اللبن للطفل. لقد كان شيئاً جميلاً أن أشاهد الطفل يستمتع باللبن، ولكني كنت بحاجة للبن أيضاً. وجدت أيضاً أنه عندما كان الناس يرسلون لي فيتامينات لاحتياجي الخاص، كنت آخذها عادة لمدة يومين ثم أجد شخصاً أكثر احتياجاً مني لها (ليس من الصعب عمل ذلك في منطقة حرب!)، فكنت أعطيه الفيتامينات. من الصعب أن أجد التوازن هنا، ولكني أتعلم أني بحاجة لأكون قوية حتى أستطيع أن أمضي قدماً في مساعدة الآخرين. إذا لم أتعلم أن أعتني بنفسي، فلن أستطيع تقديم المساعدة للآخرين على المدى الطويل.

راحة يوم السبت

كان على الرب أن يعلمني أيضاً أني كنت بحاجة للحصول على راحة مناسبة. كنت طيلة حياتي أقوم بالعمل الشاق، وحين كنت طفلة، لم أجد من يعطيني القدوة للحصول على يوم الراحة. وعندما درست ما يقوله الكتاب المقدس عن هذا الموضوع، دهشت لبعض الأشياء التي أمرني الله بها. لقد قرأتها عدة مرات من قبل، ولكني لم أمارسها عملياً. إذا كان القدير، الله الأبدي، الذي لا يتعب أو يكل، استراح من كل عمله في اليوم السابع من الخليقة، فكم وكم نحتاج نحن البشر الفانين لأخذ يوم راحة كل سابع يوم؟ إنه لم يسترح فقط، ولكنه بارك يوم الراحة هذا ودعاه مقدساً، لأنه استراح فيه (تك2: 2-3). بنفس الطريقة، فإن يوم راحتنا يوم مقدس، لأننا نستريح فيه. لقد تأثرت بشدة عندما قرأت وصية الله لموسى بأن كل من يعمل عملاً في يوم

السبت يقتل (خر2:35) يبدو لي ذلك عقوبة قاسية، ربما تصلح لجريمتي القتل أو الاغتصاب، ولكن ليس لمثل هذه الجريمة التي تبدو تافهة. ولكن الله إله رحيم ولا يخطئ.

كان من الواضح أن خطية عدم الراحة خطيرة بالنسبة لله تماماً مثل خطية القتل أو الزنا. إن الله، خالقنا، يعرف كيف أنه من المهم بالنسبة لأجسادنا، ونفوسنا، وأرواحنا أن نأخذ الوقت لكي تستريح وتسترد عافيتها. إن الراحة ليست فكرة ثانوية، إنها وصية يأخذها الله على محمل الجد، إذا لم نأخذ يوم راحة مرة في الأسبوع سواء كان في يوم الأحد أو أي يوم آخر إذا كنا نخدم في الكنيسة في أيام الآحاد، فنحن نعصى وصاياه وننفتح على الشيطان، لكي يأتي بالمرض، والاكتئاب أو الانهماك الشديد.لقد كان ذلك عاملاً هاماً لكي أصبح منهكة جداً وأكاد أرغب في الانتحار. من المهم جداً أن نتعلم هذا المبدأ، مهما كان عملنا. فكم وكم تكون الحاجة أشد في منطقة الحرب، فمن الضروري أن نأخذ راحة ونأخذ وقتاً للشفاء.

دوافع العمل

دفعني الله مؤخراً للسؤال عما كان يحفزني للعمل، وسألني إذا كنت على استعداد لكي أتخلى عن عملي. قد يبدو ذلك شيئاً سهلاً لأفعله (وسيلة لحياة سهلة!)، ولكن بالنسبة لي كان يُعد من أصعب الأشياء التي يطلبها الله مني. إنني أحب عملي، في الحقيقة، وحياتي قد أصبحت هي عملي، وقد أصبحت بمثابة الصنم لي. عندما طلب مني الله ذلك، كان لديَّ الكثير من المشروعات المختلفة التي كنت أقوم بها وقد شعرت أني لا أستطيع التوقف في المنتصف. لقد شعرت أني سوف أتسبب في أن أتخلى عن كثير من الناس وأن الناس لا يستطيعون أن يستغنوا عني.

لم أكن أدرك أن عملي قد أصبح هاماً بالنسبة لي بشكل مبالغ فيه، حتى اختبرني الرب وأراني حالة قلبي. لقد أراني أيضاً الكبرياء التي كانت في قلبي. كنت أشعر بالرضا عن نفسي لأني شعرت أني لم أكن "إنسانة" عادية. كنت أخدمه وعلى استعداد للمخاطرة بحياتي بالعمل في منطقة حرب. تُبت وسلمت كل هذه الأمور لله، وبدأت فترة من التطهر والتنقية. لقد أكد لي الله من جديد الدعوة لحياتي لأخدمه حيثما أكون. إنه يريدني أن أخدمه بقلب طاهر وبدافع الحب له. إني أعرف الآن أن ذلك عمله وليس عملي، وأنه يستطيع أن يأخذه مني في أي وقت يختاره.

في الختام

هناك أشياء كثيرة علمني الرب إياها في السنوات القليلة الماضية من العمل في منطقة حرب، لقد علمني أهمية قضاء وقت متميز معه، وعبادته، والحصول على راحة ملائمة والعناية بنفسي، والحصول على فترات راحة وبعض المتعة. لقد أراني أني لا أستطيع أن أعمل كل شيء وحدي وأنني بحاجة لأناس آخرين أكشف لهم حقيقة ذاتي وأشركهم أسرار قلبي. إنني بحاجة أيضاً للحصول على الدعم المناسب من كنيستي في أرض الوطن، مع تغطية احتياجاتي. لقد نقى الله قلبي من العديد من الدوافع والمؤثرات غير النقية التي كانت تؤثر عليَّ منذ طفولتي المبكرة، وانتزع عني أعباء شعوري الكاذب بالذنب والإحساس الزائف بالمسئولية. لقد قدم لي الكثير من الشفاء والتنقية وهو يعلمني أن أستمتع بكوني ابنة له. وأنا أتعلم أن أحصل على جدارتي الذاتية من كوني فيه، وليس مما أقوم بعمله.

لم تحدث هذه التغييرات بين عشية وضحاها، وأنا لازلت أعمل في جوانب عديدة. ولكني أعلم أن الله أمين لأن الذي ابتدأ فينا عملاً صالحاً يكمله (في1:6). إنه ينقيني، حتى أكون خادمة أكثر فعالية للإنجيل، وحتى أستطيع أن أخدمه على المدى الطويل. مازلت أعمل مع صديقاتي وأصدقائي الأعزاء في منطقة الحرب هذه، مع أني لا أعيش فعلاً هناك الآن. إنني أعيش في منطقة مجاورة وأنا بصدد إنشاء مركز مشورة لعلاج المصدومين والمجروحين، الذي سوف يكون ملجأ، ومكاناً للحصول على الأمان، ومركزاً لشفائهم وشفاء الآخرين.

للقصة بعض النهايات، ليست لي فقط، بل أيضاً لأصدقائي الأعزاء، مع أنه لا تزال توجد العديد من الصراعات. لقد اكتشفنا مكان وجود فاليرا بعد ثلاثة شهور من البحث والتقصي، واستطعنا أن نراه حراً طليقاً بعد محاكمة قصيرة. لقد حوَّل الله الموقف بصورة معجزية لمجده. بينما كنا نبحث عن فاليرا، أصبحت أمه مؤمنة، وواحد من زملائه في الزنزانة أصبح مؤمناً، وفي أثناء محاكمته أتيحت الفرصة لأيشاد للتبشير بالإنجيل والصلاة علناً لأجل القاضي والمحكمة! استجاب الله أيضاً لصلواتنا لأجل حصوله على الأمان: لم يضرب أو يعذب مرة واحدة خلال الثلاثة شهور. كم كنت أتمنى أن يكون الحال هكذا بالنسبة للآخرين!

تم أيضاً تسوية المشكلة بالنسبة للكنيسة المنشقة. بعد مرور سنة ونصف بعد أن تسببت فيرا في انشقاق الكنيسة، تابت عما فعلته وطلبت من أيشاد أن تصفح عنها، وتم اتحاد الكنيستين مرة أخرى تحت قيادة أيشاد.

في لحظة كتابتي، مازالت الحرب مستعرة، وقد فقد معظم الناس الذين أحبهم منازلهم. ولكن الله يعتني بهم ويلبي احتياجاتهم، وبالنسبة للبعض، بمن فيهم نادية، ورولاي وعائلاتهم، قدم الله لهم المال لشراء منازل جديدة. لا تبدو هناك فرصة مواتية لوقف إطلاق نار دائم، ولكن الله مرة أخرى يحوَّل الموقف للصالح. أنا لا أفهم كل هذا. مَن الذي يفعل ذلك؟ ومع ذلك فعلى الرغم من الحرب، فهو يُرجع الناس إليه والكنيسة تنمو ببطء ولكن بكل تأكيد.

تأمل ومناقشة

1- ما هي الظروف التي تستدعي إرسال مرسلين إلى الأماكن الخطرة؟ هل الأمر مختلف بالنسبة للنساء بمفردهن والعائلات التي لديها أطفال؟
2- متى يجب إجلاء هيئة المرسلين العاملين لأن الخطر قد أصبح شديداً؟
3- حدد بعض المساعدات الرئيسية التي مكنت الكاتبة من البقاء والاستمرار في منطقة الحرب؟ هل هناك شيء كان يمكنك أن تفعله بصورة مختلفة؟
4- كيف يمكن إعداد المرسلين للعمل/ البقاء في بيئات مماثلة؟
5- ما رد فعلك على هذه العبارة: إلهنا المُحِب، الكلي الصلاح، لا يحمي أبناءه دائماً من ويلات الحرب.

باولا أوكيف كانت تعمل كمرسلة في هذا الجزء من العالم منذ سنة 1993. بعد دراسة اللغة الروسية، وعلم النفس، والحصول على شهادة جامعية، ذهبت للعمل كمرسلة في سنة 1999، عادت إلى المملكة المتحدة لمدة ستة شهور للحصول على المزيد من التدريب في المشورة المسيحية. كان ميدان عملها يشمل قيادة كنيسة منزلية صغيرة، تقديم أعمال الإغاثة وتقديم المشورة للمصدومين في معسكرات اللاجئين، وملاجئ الأيتام، والمستشفيات، ومشروع إعادة إسكان اللاجئين. وهي الآن بصدد إنشاء مركز لتقديم المشورة للمصدومين والذين يعانون من جراح الصدمات للاجئين الذين أصيبوا بالصدمة من جراء الحرب.

البريد الالكتروني: paulaokeefe@hotmail.com